بين العامين ١٩٢٠ و ١٩٣٦، ثمّ مراجعة التحركات الجماهيرية المماثلة خلال الأعوام العشرين قبل اندلاع الانتفاضة الكبرى، بين العامين ١٩٦٧ و ١٩٨٧، فاننا نكاد نعثر على ظاهرة مشتركة، وهي ان كلاً من الثورة والانتفاضة، كان بمثابة قمة ناضجة لبناء من الانتفاضات والأعمال النضالية في المرحلة التي سبقت. وبتعبيرات أخرى، لم تكن الثورة الكبرى منبتّة الصلة بالتفاعلات التي كانت تعتمل على الساحة الفلسطينية في مواجهة المشروع الاستعماري ـ الصهيوني، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى؛ كذلك فان الانتفاضة، بدورها، تعتبر وثيقة الصلة بالحركة النضالية الفلسطينية داخل الأرض المحتلة، منذ العام ١٩٦٧، وخارجها.

قبل العام ١٩٣٦، حصلت انتفاضات جماهيرية عدة ضد التحالف البريطاني الاستعماري ـ الصهيوني المشترك. حدثت الانتفاضة الأولى في القدس، في نيسان (ابريل) ١٩٢٠، وتكررت في أيار (مايو) ١٩٢١. وقد عادت الانتفاضتان، بحسب ما ورد في تقرير لجنة التحقيق المعروفة بـ «لجنة هايكرفت»، الى موقف العرب المعادي لليهود، والناجم عن أسباب سياسية واقتصادية مرتبطة بالهجرة اليهودية وانشاء «الوطن القومي اليهودي»[٣].

وبين العامين ١٩٢٢ و١٩٢٩، اتّسم العمل الوطني الفلسطيني، بصفة عامة، بالركود، وذلك باستثناء التظاهرات التي قامت بها الجماهير الفلسطينية ضد زيارة بلفور العام ١٩٢٥، وتظاهرات التأييد للثورة السورية بين العامين ١٩٢٥ و ١٩٢٧. وفي رأي البعض، ان ذلك الركود عاد الى تردد القيادة الوطنية عن الصدام مع القوى الاستعمارية البريطانية ـ الصهيونية، من جهة، وطغيان الشعور بعدم تكافؤ القوى بين الاستعمار والحركة الوطنية، من جهة أخرى[٤]. غير انه، على أثر اعتداء يهودي على حرمة المسجد الأقصى، اندلعت الانتفاضة المعروفة بهبّة البراق، في آب (اغسطس) ١٩٢٩؛ وكانت الأقوى منذ بداية الانتداب (الاستعمار)؛ وامتدت من القدس الى يافا، فحيفا، ثمّ الى عدد كبير من مدن فلسطين وقراها؛ وتميّزت بحدوث مواجهات عنيفة، سقط، على اثرها، عدد كبير من الفلسطينيين شهداء (١١٦ شهيداً)، ومن اليهود ١٣٣ قتيلاً، وعدد أكبر من الجرحى في الجانبين[٥].

هذه الانتفاضات المختلفة غلب عليها، في عمومها، الطابع المؤقت المتقطع، من الناحية الزمانية والمكانية، وافتقدت التخطيط الدقيق والتنظيم المحكم؛ وهذا ما جعلها تخمد بسرعة، بعكس احداث ثورة العام ١٩٣٦، التي اتسمت بالامتداد والشمول، وبقدر أكبر من التنظيم[٦].

وبالمثل، شهدت الأراضي المحتلة العام ١٩٦٧ سبعة انتفاضات حدثت على فترات زمنية مختلفة قبل اندلاع الانتفاضة الكبرى في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧. وقعت الانتفاضة الأولى بعد مرور بضعة شهور على الاحتلال؛ وقد لعبت دوراً هاماً في رفع المعنويات المنهارة في أعقاب هزيمة حزيران (يونيو) القاسية وصدمة الاحتلال؛ وكان ممّا أبرزته هذه الانتفاضة ـ من بين أمور كثيرة ـ ان جمهور المواطنين الواسع، وبشكل خاص الحرفيين وسكان القرى، كان بعيداً من الاشتراك بفاعلية في النضال اليومي للجماهير؛ ولذلك، كان الطابع الغالب عليها هو التحرك الطلابي، على صعيد المدارس بمستوياتها المختلفة. كذلك تحركت هذه الانتفاضة بشكل عفوي بصفة عامة، فعلى الرغم من ان بعض الهيئات، أو اللجان، قد تشكلت خلالها، الاّ ان هذه اللجان، أو الهيئات، كانت محلية ومؤقتة، أي لم يقدّر لها الامتداد المكاني، أو الزمني[٧].

أمّا الانتفاضة الثانية، فاندلعت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤، وجاءت مواكبة